مجلة جامعة دمشق للدراسات التاريخية

اسم المقال: العلاقة بين الخلافة الفاطمية وبلاد النوبة
اسم الكاتب: د. معن منيف سليمان
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/2694
تاريخ الاسترداد: 2026/06/05 03:09 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة دمشق للدراسات التاريخية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

العلاقة بين الخلافة الفاطمية وبلاد النوبة

د. معن منيف سليمان*

الملخص

ظلت معاهدة الصلح المسماة بالبقط التي أبرمها حكام مصر المسلمين مع ملوك المقرة نافذة المفعول حتى قدوم الفاطميين واستقرارهم بمصر، وقد التزم ملوك المقرة باحترام هذا الاتفاق، وقدّموا البقط المقرر عليهم. وبالمقابل اهتم الفاطميون باستمرار علاقات حسن الجوار والمسالمة مع ملوك هذه الدولة، يدفعهم إلى ذلك حرصهم على تأمين حدود مصر الجنوبية، وضمان تدفق البضائع التجارية من بلاد أفريقية الجنوبية إلى مصر. على أنه لابدّ من القول إن التزام ملوك المقرة باتفاق البقط كان متعلقاً بالأحوال الداخلية لكلا البلدين ، فقد كان ملوك المقرة يتقصّون الأخبار عن حالة مصر باستمرار، فإذا وجدوا الظروف في صالحهم نقضوا العهد وامتنعوا عن دفع البقط، وقاموا بمهاجمة بلاد الصعيد منتهزين فرصة انشغال الخلافة في حروبها مع الصليبيين، على أن ذلك كان يستدعي قيام سلطات القاهرة، بإرسال تجريدة عسكرية لإرغامهم على دفعها. ولهذا يمكن القول إن الطابع الودي كان المسيطر على العلاقات بين الخلافة الفاطمية ومملكة المقرة النوبية، ثم انقلب إلى سيء في الحقبة الأخيرة من تاريخ الفاطميين .

وعلى صعيد العلاقة مع دولة بني الكنز الإسلامية جنوب مصر. فمنذ أيام الخليفة الحاكم بأمر الله، توطدت علاقات حسنة بين الخلافة الفاطمية وبني ربيعة، وقد دانت هذه الدولة بوجودها لهذا الخليفة الذي منح أمراءها لقب كنز الدولة تقديراً لجهودهم في نصرة الخلافة ضد الثائر أبي ركوة. ومنذ ذلك الوقت أخذت الخلافة تعتمد على ولاء بني الكنز في تثبيت أقدامها وفرض نفوذها على المناطق الواقعة جنوبي مصر وشمالي بلاد

* تاريخ عربي إسلامي.

النوبة، وقد قدّر خلفاء الحاكم مكانة دولة بني الكنز وقدّروا قوتها في هذه المناطق، ولكن إعلان الأمير كنز الدولة محمد الاستقلال في سنة 466 هـ/1073 م، منتهزاً فرصة ضعف الخلافة في أثناء الشدة المستنصرية، سبَّب تدهور العلاقات حيناً من الزمن دام قرابة ثلاث سنوات، أي حتى قُضِيَ على ثورته سنة 469 هـ /1076 م، على يد الوزير بدر الجمالي، حيث توطدت العلاقة من جديد بين الطرفين وازدادت رسوخاً بانضمام الأمير سعد الدولة القواسي، أمير بني الكنز، إلى صفوف الجيش الفاطمي في حروبه ضد الصليبيين ومن ثم استشهاده في عسقلان في سنة 494 هـ /1101م. وبناءً على ذلك فقد كانت علاقة بني الكنز بالخلافة الفاطمية حسنة بشكل عام، واستمر أمراء بني الكنز بالاعتراف بالسيادة الفاطمية، على الرغم من نزوع بعضهم إلى الاستقلال.

The Relationship between the Fatimid caliphate And Alnwba

Main suliman*

Summary

The so –called "Pactum Treaty" concluded by the Muslim rulers of Egypt with the kings of Maqra remained valid until the Fatimids came and settled in Egypt. The Fatimids, on the other hand, continued to maintain good – neighborly and peaceful relations with the kings of this country. They were keen to secure the southern borders of Egypt and to ensure the flow of commercial goods from south African countries to Egypt. However, it is necessary to say that the commitment of the kings of the Maqra to the agreement of the poles was related to the internal conditions of both countries.

The kings of Al – Maqra were constantly investigating the situation of Egypt, If they found the conditions in their favor, they broke the covenant and refrained from Paying the Baket and attacked the Upper Egypt taking advantage because the caliphate was busy with its wars with the Crusaders, but that was called for by the Cairo authorities, sending a military Parade to force them to pay. it is therefore possible to say that the friendly character dominated the relations between the Fatimid Caliphate and the Nubian Kingdom of Maqara, and then turned to evil in the last period of the Fatimid history. At the level of relationship with the Islamic state of A Kins at the south of Egypt.

Since the days of caliph Al- Hakim in the name of God, good relations had been established between the Fatimid caliphate and BaniRabia. This state has condemned the existence of this caliph, who gave its princes the title of state treasure in recognition of their efforts in supporting the caliphate against the revolutionary Abu Rakwa.

Since that time, the Caliphate has depended on the loyalty of the treasure builders in establishing their power and imposing their influence on the areas south of Egypt and northern Nuba. The princes successors estimated the state of BaniKanz and estimated its strength in these area.

* Arab and Islam History.

However the declaration of independence by the prince kanz in 466 H/ 1073 A. H, taking advantage of the weakness of the caliphate during the Mastansariyah Period, Caused the deterioration of relations for some three years. until the revolution was abolished in 469 A.H / 1076 CE, by the minister Bader Al-Jamali. Then the relationship was strengthened again between the two parties and became more established because Prince Amir Al Qawasi, Prince BaniKanz joined the ranks of the Fatimid army in his wars against the crusaders and the his death in Ashkelon in 494 A.H/ 1101 AD.

Consequently, the relationship between Banikanz and the Fatimid caliphate was generally good and the princes of Banikanz continued to recognize Fatimid sovereignty, despite their tendency to independence.

تمهيد:

يقع إلى جنوب مصر بلاد يطلق عليها اسم بلاد النوبة، وتمتد بطول 350 كيلو متراً من الشلال الأول حتى أسوان[1] على ضفاف نهر النيل، اسمها مشتق من (نوب) وهي في اللغة المصرية القديمة تعني: أرض الذهب، وينسب الطبري تسمية النوبة إلى نوبة بن حام بن نوح عليه السلام[2].

ظلت النوبة تشغل دورها الحضاري، والسياسي، والاجتماعي، والديني في منطقة النيل الأوسط منذ أكثر من خمسة آلاف عام، إلى أن قامت مملكة عرفت بمملكة نبتة نسبة إلى عاصمتها مدينة نبتا، بالقرب من مدينة دنقلة[2] الحالية، التي أصبحت لها شخصية قوية ذات كيان سياسي، وعسكري، واقتصادي في وادي النيل منذ نهاية القرن التاسع وبداية القرن الثامن قبل الميلاد، وأصبحت لها قوة عسكرية ضاربة بفضل زعمائها، ولعل أبرزهم الملك بعنخي وكان أقوى ملوك النوبة، ويُعدّ مؤسسها الحقيقي الذي عمل على توحيد بلاد النوبة التي كانت من قبل عبارة عن إقطاعات.

وقامت مملكتان في منطقة النوبة وهما: مملكة البليمي ، وهم قبائل سكنت شرق النيل حتى البحر الأحمر، وكان العرب يطلقون عليهم البدجا. ومملكة النوباديين وهم القبائل المعروفة بالنوبة الآن ،وقد سيطر النوباديون على معظم مصر والنوبة السفلى لدى تفكك الدولة الرومانية، لكنهم أُخرجوا منها فاكتفوا بالسيطرة على النوبة السفلى جنوب أسوان.

---

[1] أسوان: في آخر بلاد الصعيد، وهي ثغر من ثغور الإقليم يفصل بين النوبة وأرض مصر. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت 845 هـ / 1442 م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، القاهرة. مؤسسة الحلبي، بدون تاريخ، ج1 ص197.

[2] الطبري، محمد بن جرير (310 هـ / 922م)، تاريخ الرسل والملوك، أو تاريخ الطبري، بيروت مؤسسة الأعلمي، الطبعة الرابعة، 1983م، ج1 ص15 و126.

[3] دُمُقلة أو دُمْقلة: بضم أوله وسكون ثانيه وضم قافه. مدينة كبيرة في بلاد النوبة وهي منزلة ملك النوبة على شاطئ النيل. ياقوت الحموي، شهاب الدين بن عبد الله (ت 626 هـ / 1228 م)، معجم البلدان، بيروت. دار صادر، الطبعة الأولى، ج2 ص470.

كانت النوبة على امتداد تاريخها الطويل عرضة للاعتداءات المصرية على أطرافها الشمالية. وكانت أهم أسباب هذه الاعتداءات الرغبة في تأمين الحدود الجنوبية ،وتأمين طرق التجارة التي كانت تربط مصر بأفريقية عبر بلاد النوبة، بالإضافة إلى الأطماع المصرية في ثروات المنطقة المختلفة.

ظلت العبادات في النوبة وثنية إلى أن دخلت إليها المسيحية عن طريق مصر من قبل البعثات التبشيرية الرسمية في منتصف القرن السادس الميلادي، ويقال إنها دخلت على يد مبشرين مصريين في القرن الأول والثاني الميلاديين. وقد انتشرت الكنائس والأديرة في أنحاء النوبة التي شيّد بعضها على النمط البيزنطي، وكان فيها مقراً بطريركياً. اتسم الشعب النوبي بحب القتال والاستقلال، وقد عُدّ هذا الشعب من قبل سكان مصر شعباً أجنبياً، ونظر إليه بخوف وحذر، ولم يستطع حكام مصر في العصور القديمة والوسطى إخضاع هذا الشعب بشكل عام وفعال، حتى أن الدولة البيزنطية وجدت من الضروري الاحتفاظ بحصون على الحدود كخطوط دفاعية ضدّ غاراته.

وبعد قيام الإسلام، والشروع بالفتوحات الكبرى، اصطدم العرب بهذا الشعب، ولم يفلح العرب بادئ الأمر في إخضاع النوبة بقوة السلاح. ويروى أن بداية الاتصال بأرض النوبة تمّت في ولاية عمرو بن العاص سنة 21 هـ / 641 م، والثانية في عهد عبد الله بن سعد بن أبي سُرح في سنة 31 هـ /651 م، الذي قاد جيشاً قوامه نحو خمسة آلاف مقاتل، ولكن جيوش النوبة حالت دون سقوط مملكتهم، وصمد النوبيون أمام جيوش المسلمين، وكان عبد الله بن أبي سرح يأمل في الحدّ من هجمات النوبة على صعيد مصر، فمال إلى الصلح معهم وتمّ ذلك الصلح الذي عُرف في التاريخ بمصطلح معاهدة البَقْط[1] (Pactum) أو عهد النوبة، وكان عبارة عن هدنة أمان أو معاهدة عدم اعتداء

[1] البَقْط: وهي الضريبة أو المعاهدة أو الهدنة أو السلم، وقد كانت عبارة عن ضريبة من غلال كان البيزنطيون يجمعونها من سكان مصر لتزويد جيوشهم بالمؤن فأخذوا يدفعون هذه الجزية للمسلمين المحاصرين لهم، وأصبحت فيما بعد تدل على الاتفاق أو المعاهدة بين النوبة والعرب، وهناك تفصيلات واسعة عن شروط البقط أوردها المقريزي في الخطط، ج1 ص199 . 202. وكذلك ينظر صليبا، بندلي، دراسات في اللغة والتاريخ الاقتصادي والاجتماعي عند العرب، بيروت . دار الطليعة، 1977م، ص35.

التزم بها الطرفان، وظلّ هذا العهد قائماً بين المسلمين وبلاد النوبة مدّة تقارب الستة قرون. وخلال تلك القرون تسرّبت المؤثرات الإسلامية تدريجياً وفي هدوء وبطء حيث استوطنت بعض القبائل العربية، ولاسيما قبيلة ربيعة، بلاد النوبة وتوغلوا جنوباً وتوسع نفوذهم السياسي إثر مصاهراتهم لرؤساء النوبيين والأسر الحاكمة، ونتيجة لذلك صار لبني ربيعة نفوذ كبير في منطقة أسوان وما يليها جنوباً في المناطق النوبية. وعلى هذا يمكن تقسيم هذه الدول التي قامت في النوبة وارتبطت بعلاقات متفاوتة مع الفاطميين إلى دولتين: دولة مسيحية دعيت باسم مملكة المُقُرَّة، وإلى الشمال منها دولة عربية إسلامية دعيت باسم دولة الكنوز. وسيتم تناول علاقة كل واحدة منهما بالفاطميين على حدة[2].

أولاً . العلاقة مع مملكة المُقُرَّة المسيحية:

قامت في بلاد النوبة مملكة مستقلة مسيحية يقال لها المقرّة، وكانت عاصمتها دُنْقُلَة أو دُمْقُلَة وتقع هذه المملكة شمالي السودان وجنوب الحدود المصرية، وكان المقريّون يدينون بالمسيحية على مذهب الكنيسة المصرية القبطية، كما كانوا يدينون بالولاء والطاعة لحاكم مصر منذ اتفاقية البقط التي عقدها معهم والي مصر عبد الله بن أبي سرح سنة 31 هـ / 651 م، إلا أنهم لم يحافظوا دائماً على هذا العهد، فكثيراً ما كانوا يشنون الغارات على بلاد الصعيد جنوبي مصر، ولذلك اضطر ولاة مصر على مرّ العصور والعهود، إلى توجيه الحملات إلى بلاد النوبة تمسكاً منهم بشروط هذا البقط أو

[2] ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن، فتوح مصر وأخبارها، بيروت . دار الفكر، 1996م، ج1 ص318 . 319. البلاذري، أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، بيروت . دار الكتب العلمية، 1403هـ، ج1 ص239. الطبري، تاريخ الطبري، ج2 ص515. ابن الأثير، أبو الحسن عز الدين علي (ت 630 هـ / 1232 م)، الكامل في التاريخ، تحقيق مكتب التراث، بيروت . دار إحياء التراث العربي ط4، 1994م. ج1 ص63 وج2 ص177. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت 764 هـ / 1409 م)، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، بيروت . دار إحياء التراث، 2000م، ج17 ص101. ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت 808 هـ / 1405 م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر، بيروت . دار القلم، الطبعة الخامسة، 1984م، ج2 ص556. المقريزي، الخطط، ج1 ص190 . 194 و197 و199. القوصي، عطية، تاريخ دولة الكنوز الإسلامية، مصر . دار المعارف، 1976م، ص43 . 45.

العهد[1]. ولقد ظلت معاهدة البقط نافذة المفعول حتى قدوم الفاطميين وسيطرتهم على مصر، إذ لم يكد القائد جوهر الصقلبي يفرغ من السيطرة على مصر سنة 358 هـ / 969 م، حتى وجه انتباهه إلى مملكة المقرة النوبية، التي أخذت تسبب له من المشاكل ما شغله عن الاهتمام بالقضايا الداخلية المهمّة، ولاسيما أن ملك المقرة جورج الثاني (قيرقي) كان قد امتنع عن تقديم البقط المقرّر، منذ أواخر الدولة الإخشيدية، مستغلاً حالة الضعف والاضطرابات داخل مصر، فبادر جوهر بإرسال بعثة برئاسة الرحالة عبد الله بن أحمد بن سُليم الأسواني إلى الملك جورج الثاني يذكّره فيها بالعهد المبرم مع أسلافه، وعرض عليه إمكان الإعفاء من الجزية إن هو اعتنق الإسلام، فردّ عليه الملك المقري بإرسال المبلغ المطلوب، ويبدو أن رسالة القائد جوهر لم تصادف استحساناً أو قبولاً في حكومة المقرة، ولم يتمكن وفد ابن سليم من إقناع أهل المقرة بالإسلام، وعندما تسلم ملك النوبة كتاب جوهر أمر بعقد مجلس من الأساقفة وعقلاء الأمة وأباح لأعضائه حرية البحث والمناقشة في أمر هذا الكتاب وانشغل هو بكتابة الرد[2].

أما الرد على كتاب جوهر فهذا نصه: " بعد السلام والتحيات .. فإننا ندعوكم لاعتناق الدين المسيحي بدون إجبار أو شرط وأن أجدادي كانوا على الدوام يعاملون الغازين للبلاد المصرية بكل إخلاص ومسالمة وإني كنت متأهب لعقد معاهدة مهمة معكم "[3]. وختم رسالته ببعض عبارات التودد الرقيقة ولم يذكر فيها شيئاً عن اتفاق البقط

---

[1] ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ج1 ص318 . 319. البلاذري، فتوح البلدان، ج1 ص239. الطبري، تاريخ الطبري، ج2 ص515. الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت 560 هـ/1165 م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، بيروت . عالم الكتب، 1989م، ج1 ص27 و32. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج2 ص177. ابن خلدون، العبر، ج2 ص556. المقريزي، الخطط، ج1 ص198 و200. كاشف، سيدة إسماعيل، مصر في عصر الإخشيديين، القاهرة، 1950م، ص358. القوصي، تاريخ دولة الكنوز، ص44 . 45.

[2] ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف (874 هـ / 1469 م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة . وزارة الثقافة، بدون تاريخ، ج3 ص326. كاشف، المرجع السالف، ص358. القوصي، المرجع السالف، ص44. أندراوس، عزت، سلسلة تاريخ أقباط مصر، إنترنت، 2004م، ج1 ص1.

[3] ا.ل. بتشر، تاريخ الأمة القبطية وكنيستها، (تعريب إسكندر تادرس) إنترنت، 1900م، ج2 ص8 . 10.

التي أشار إليها جوهر في كتابه. أما ابن سليم رئيس الوفد المصري، فقد اعترض على رد الملك، بل كتب كتاباً إلى الملك عدّد فيه الغزوات والفتوحات الإسلامية وانتصارات العرب. وبينما كان ابن سليم ومن معه مقيم في المقرة حل عليهم عيد الأضحى فدعا الملك رئيس الوفد وجماعة المسلمين وكان عددهم لا يزيد عن ستين رجلاً، فأقاموا الاحتفالات الدينية وقد ألّفوا موكباً دينياً سار في المدينة في حين عزفت الطبول النوبية وعلت أصوات الأبواق، وقد حاول بعض المقربين من الملك منع هذه المظاهرة الدينية، فانتهرهم الملك وزجرهم على تعصبهم القبيح، ثم سافر الوفد المصري وهم في غاية الارتياح وبذل ابن سليم كل ما كان في وسعه ليقنع جوهر بعدم غزو المقرة والإغارة عليها، وبهذا أزاح ملك المقرة جورج الثاني الخطر عن بلاده من حسن معاملته لضيوفه، فعاشت مملكته هناك في أمن وسلام[1].

هذا ويورد المقريزي في أحداث سنة 383 هـ / 993 م، أن البقط قد وصل من النوبة على العادة ومعهم فيل وزرافة[2]، وهذا يعني أن الملك التزم باتفاق البقط وداوم على تقديمه للقاهرة، حيث عاود المقريزي ونوّه من جديد إلى ذلك في أحداث سنة 385 هـ / 996م، وقال: " ورد البقط من النوبة"[3]، ومن خلال ذلك يمكن القول إن علاقة المقريين بالفاطميين حتى هذا التاريخ كانت طيبة بشكل عام، فقد التزم الملك المقري باحترام اتفاق العهد، وقدّم البقط المقرر عليه، وتوقفت غارات النوبة التي كانوا يشنونها على بلاد الصعيد في جنوبي مصر. وظلت علاقة ملوك المقرة طيبة بالخلافة الفاطمية، سواء خلال الأيام المتبقية من خلافة العزيز بالله (365 . 386 هـ / 975 . 996 م) أو خلال عهد الحاكم بأمر الله (386 . 411 هـ /996 . 1020م)، ومن بعده ابنه الظاهر لإعزاز

[1] بتشر، تاريخ الأمة القبطية وكنيستها، ج2 ص8 . 10.

[2] المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت 845 هـ / 1442 م)، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، مطابع الإهرام التجارية، الطبعة الثانية، 1996م، ج1 ص279.

[3] المقريزي، المصدر السالف، ج1 ص285.

دين الله (411 . 427 هـ/1020 . 1036 م)، حيث صمتتْ المصادر المتوفرة طيلة هذه العهود والسنين عن ذكر أيّ علاقة بين المقرة والقاهرة، ويمكن أن يفسر هذا الصمت على أن العلاقات الطيبة وحسن الجوار هي السمة التي كانت غالبة على طابع العلاقات بين الطرفين، ودليل ذلك أن في عهد الظاهر وبالتحديد في سنة 415 هـ / 1024م، وصلت إلى مصر هدية من بلد النوبة فيها عبيد وإماء، وخشب وأبنوس، وفيلة، وزرافات[4].

وعندما وزَر اليازوري للمستنصر جهز حملة إلى المقرة في سنة 443 هـ / 1052 م، وفرض عليهم مضاعفة البقط فاستقر الأمر على ذلك، ولم يذكر المقريزي الذي أورد هذا الخبر اسم قائد الحملة ولا الأسباب التي دعت الوزير الفاطمي لإرسال هذه الحملة، على أن ذلك لم يؤثر في مجرى العلاقات الطيبة بين الطرفين التي استمرت على نحو طيب وودي طيلة السنوات الباقية من عهد المستنصر[5].

ففي سنة 474 هـ / 1081 م، بادر الملك سلمون، ملك المقرة، بتسليم كنز الدولة محمد، أمير دولة الكنز، إلى الوزير بدر الجمالي، وكان كنز الدولة قد ثار بأسوان واشتبك مع القوات الفاطمية في معركة عنيفة هناك انتهت بهزيمة قواته وإبادة معظمها وفراره إلى بلاد النوبة، وكانت العلاقات وقتها طيبة بين الملك سلمون والخلافة الفاطمية، فبادر الوزير بدر الجمالي بإرسال الشريف سيف الدولة ومعه الأسقف (مرقورة) الذي كان يعرف بالوعواع، وقد كان مزوداً بكتاب توصية من البطريرك القبطي إلى ملك المقرة، يطلب منه باسم الخليفة تسليم كنز الدولة إليه، ولهذه الاعتبارات السياسية والدينية استجاب الملك سلمون لطلبه وسلّم كنز الدولة إلى الوزير الفاطمي حيث اعتقل ثم قتل

[4] المقريزي، المصدر السالف، ج2 ص143.

[5] المقريزي، المصدر السالف، ج2 ص222.

في القاهرة [1]. ويبدو أن بقية أمراء بني الكنز كانوا قد لاحظوا قوة الصلة التي كانت تربط الملك سلمون بالوزير الفاطمي، ولما كانوا يريدون الكف والمسالمة، فقد سار اثنان من إخوة كنز الدولة محمد، إلى الملك سلمون وطلبا منه التوسط لهما لدى الوزير بدر الجمالي في العفو عن بني الكنز، وتقديراً لموقف ملك المقرة الإيجابي مع الخلافة، فقد قبل بدر الجمالي وساطته وعفا عن بني الكنز، وقبل بعودة نفوذهم إلى منطقة إمارتهم عند أسوان[2].

ولقد اهتم الوزير بدر الجمالي باستمرار علاقات حسن الجوار والمسالمة مع مملكة المقرة، يدفعه إلى ذلك حرصه على تأمين حدود مصر الجنوبية، وضمان تدفق البضائع التجارية من بلاد أفريقية الجنوبية، وبناء على ذلك، تحرّك بدر الجمالي وحال دون وقوع أزمة سياسية كادت أن تعكر صفاء العلاقات مع مملكة المقرة، وذلك عندما اعتقل والي أسوان واسمه شاردكين القواسي، الملك سلمون الذي كان قد تنازل عن العرش وترك مملكته وعزل نفسه وسلمها إلى جرجس (جرجة) ابن أخته وانفرد للعبادة والتنسك والوحدة، وذهب إلى دير بالقرب من أسوان وهناك قبض عليه الوالي المصري بتحريض من بني الكنز، فتدخل الوزير بدر الجمالي وأمر بإرساله إلى القاهرة مكرّماً، حيث أعد له استقبالاً رسمياً يليق بمقامه، وقد أطنب ساويرس بن المقفع في وصف الحفاوة التي قوبل بها الملك فقال: " وأرسله القواسي إلى القاهرة، ولما وصل إليها تلقاه كل من فيها من الأمراء والوزراء والقيادات بالطبول والبنود والأبواق، ولما دخل إلى القاهرة أكرمه أمير الجيوش وأنزله في دار ضخمة وكبيرة، ووضع فيها آنية وأثاث جديد، وفرشها بالسجاد

[1] ابن المقفع، ساويرس، سير الآباء البطاركة، نشر عزت أندراوس (سلسلة تاريخ أقباط مصر) إنترنت، 2004م، ص1. المناوي، محمد، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، القاهرة . دار المعارف، 1970م، ص236. القوصي، تاريخ دولة الكنوز، ص60.

[2] ساويرس، المصدر السالف، ص1.

والحرائر والستائر، فأقام هناك مدة سنة وتقبل الملك كل هذه المظاهر الملوكية بكل وداعة وسكون"[3].

ويبدو أن الوزير بدر الجمالي أراد أن يذهب إلى أبعد من ذلك، في استغلال هذه الفرصة، فقد لحظ قوة الصلات التي كانت تربط بين الملك سلمون وبين القبط من ناحية وبين الأحباش من ناحية أخرى، ولما كان يريد تسهيل التجارة لفائدة مصر وتعزيز الروابط مع المقريين والأحباش فقد كاشف البابا كيرلس الثاني وأساقفته في مصر برغبته بعقد معاهدات مع هذين البلدين لتسهيل طرق التجارة وتقويتها، فأخذ البابا على عاتقه مفاوضة المسؤولين في البلدين، وقد نجحت مفاوضات البابا فازدادت منزلته عند الخليفة ولدى الوزير بدر الجمالي[4].

وفي سير الآباء البطاركة تفصيلات واسعة عن شروط الاتفاق الذي أبرمه الوزير بدر الجمالي مع مطران الحبشة[1]، حيث تقرّر بموجبه أن يلتزم المطران ببناء أربعة مساجد في بلاد الحبشة وتقام الدعوة فيها للخليفة الفاطمي، وتُحمل الهدايا وتحدد الهدية على هذه البلاد خمسين سنة، ولا يقدّموا هم الهدية باختيارهم، وأن يحفظوا الطريق في تلك البلاد على التجار المسلمين وغيرهم[2].

وهكذا بدا أن الوزير بدر الجمالي أراد أن يستغل نفوذه الأدبي على رئيس الكنيسة القبطية في مصر، والملك المقري ليبرم اتفاقاً مع بلاد الحبشة على غرار اتفاق البقط، ولكن يبدو أن مطران الحبشة لم يكن لديه من النفوذ الديني والصلاحيات ما يسمح له بتنفيذ جميع شروط هذا الاتفاق، ذلك أنه أرسل في سنة 478 هـ / 1085 م، بهدية

---

[3] ساويرس، المصدر السالف، ص1.

[4] ساويرس، المصدر السالف، ص1.

[1] واسمه سويرس، وكان قد وعد البطريرك القبطي وأمير الجيوش بوعود كثيرة حتى وافق الجميع بتعيينه مطراناً وإرساله إلى الحبشة، وقال إنه سوف يرسل لهم الهدايا من هناك ويدع الملوك تطيعهم. ساويرس، المصدر السالف، ص1.

[2] ساويرس. المصدر السالف، ص1.

وصلت مع أخي المطران ولم تكن لائقة بالوزير الفاطمي ولم تعجبه، ما أثار غضبه، فقبض على الرسول واعتقله ولم يفرج عنه حتى توسط له ملك المقرة الذي أرسل هدية قيّمة ومعها ابن الملك، وكان غرض ابن الملك أن يعينه البابا القبطي في مصر أسقفاً للنوبة[3]. ومرة أخرى أراد الوزير بدر الجمالي أن يستغل الموقف لتحقيق مكاسب تجارية وسياسية على حساب ملك المقرة، مستخدماً بذلك النفوذ الديني للبابا القبطي على مطارنة وأساقفة المقرة والحبشة، وبينما صادفت جهوده بعض النجاح مع المقريين، انتهى الأمر مع الأحباش دون الوصول إلى الغاية التي كان يرمي إليها بدر الجمالي، ذلك أن أهل الحبشة، وجلُّهم من النصارى قاموا بهدم سبعة مساجد كان المطران قد بناها في أماكن مشهورة هناك، كما أن ملك الحبشة حينما بلغه ما فعله المطران قبض عليه واعتقله، ويذكر ساويرس بن المقفع أن أمير الجيوش بدر الجمالي وجه رسالة شديدة اللهجة إلى ملك الحبشة خاطبه فيها: " إن لم تفعل كذا وكذا سأهدم الكنائس التي بأرض مصر كلها، فردّ عليه ملك أثيوبيا (الحبشة) برسالة مماثلة خاطبه فيها: " إذا هدمتَ من الكنائس حجراً واحداً حملتُ إليك طوب مكة وحجارتها جميعاً وأحضرته إليك كله، وإن ضاعت منه طوبة واحدة، وزنت بدلاً منها ذهباً"[4].

ولكن العلاقة مع مملكة المقرة النوبية ما لبثت أن ساءت في عهد الوزير الأفضل بن بدر الجمالي، ولم يذكر المقريزي الذي أورد هذا الخبر، السبب الذي أدى إلى تدهور العلاقات بين الطرفين. ففي حوادث سنة 501 هـ / 1108 م، قال: " وفيها وردت الأخبار بأن متملك النوبة قد تجهز براً وبحراً، وعوّل على قصد البلاد القبلية، فسيَّر الأفضل عسكراً إلى قُوص[5]، وتقدم إلى والي قوص أن يسير بنفسه إلى أطراف بلاد

---

[3] ساويرس. سير الآباء البطاركة، ص1.

[4] ساويرس، المصدر السالف، ص1.

[5] قُوص: بالضم ثم السكون وصاد مهملة. وهي مدينة كبيرة عظيمة واسعة، قصبة صعيد مصر، وهي على بعد سبعة أميال شرقي النيل. خسرو، ناصر (481 هـ / 1088 م) سفرنامة، تحقيق يحيى الخشاب، بيروت . دار الكتاب الجديد، الطبعة الثالثة، 1983م. الإدريسي، نزهة المشتاق، ج1 ص128.

النوبة، فورد الخبر بوثوب أخي الملك عليه وقتله. واشتدت الفتنة بينهم حتى باد أهل بيت المملكة وأجلس صبياً في الملك، فأرسلت أمه تستجير بعفو الأفضل وتسأله أن يسيّر إليهم من يغزوهم. فكتب لوالي الصعيد الأعلى أن يسيّر عسكراً إلى أطراف بلاد النوبة ويبعث إليهم رسولاً يجدد عليهم القطيعة الجاري بها العادة، وهي كل سنة ثلاثمئة وستون رأساً دقيقاً بعد أن يستخلص منهم ما يجب عليهم في السنين المتقدمة. فلما دخلت العساكر نحوهم دخلوا تحت الطاعة، وكتبوا المواضَعَات، وسألوا في الإعفاء عما يخص السنين، وحملوا ما تيسر لهم، وعادت العساكر كاسبة"[1].

ويبدو أن العلاقات عادت مرة أخرى إلى الاستقرار بين الدولتين، فالمصادر التاريخية المتوفرة لم تعد ترد أي خبر عن وقوع أي احتكاك أو تبادل للهدايا أو حتى عن ورود البقط كما جرت العادة إلى القاهرة. ولعل انشغال الخلافة الفاطمية في مشاكلها الداخلية وفي الحروب ضدّ الصليبيين قد طغى على سياستها الخارجية، كما طغى ذلك على كتابات المؤرخين وشغلهم عن الاهتمام بتتبع أخبار الجبهة الجنوبية. إلا ما ذكره المقريزي في أحداث سنة 556 هـ / 1161 م، عن " خروج ملك النوبة إلى أسوان في اثني عشر ألف فارس وقتل من المسلمين عالماً عظيماً"[2]. وفي ضوء هذا النص يمكن الاستنتاج أن العلاقات بين الفاطميين ومملكة المقرة قد ساءت . خلال هذه الحقبة الأخيرة من تاريخ الخلافة الفاطمية لسبب أو لآخر.

ثانياً: العلاقة مع دولة الكنوز الإسلامية:

تمهيد:

تنتسب أسرة بني الكنز إلى قبيلة ربيعة بن نزار بن معدّ بن عدنان العربية، التي هاجرت من موطنها في الجزيرة العربية إلى بلاد النوبة، ما بين العصرين الأموي

[1] المقريزي، الخطط، ج3 ص41.

[2] المقريزي، المصدر السالف، ج3 ص255.

والعباسي، واستقرت في هذه البلاد، واختلطت بأهلها وبخاصة في منطقة المريس[3]، شمالي النوبة، حيث قام أفرادها بمصاهرة رؤساء النوبيين، وأصبحت لهم مصالح مادية لانتفاعهم بنظام الوراثة المعروف هناك، وهو توريث ابن البنت أو ابن الأخت، ونتيجة لذلك، صار لبني ربيعة نفوذ كبير في منطقة أسوان وما يليها في أرض المريس والبجة[4] في وادي العلاّقي[5] والصحراء الشرقية[6].

وفي القرن الرابع للهجرة / العاشر للميلاد، تمكنت ربيعة وأحلافها من تأسيس أول إمارة عربية في أرض المعدن[1] بالعلاّقي، وكانت أسوان مقراً لها، وكان زعيمهم حينئذٍ هو أبو مروان بشر بن إسحاق، وظل يحكم الإمارة إلى أن مات[2]، فقام بحكم الإمارة بعده ابنه أبو المكارم هبة الله، الذي كان يعرف بالأهوج، ويُعدّ أبو المكارم المؤسس الحقيقي لإمارة ربيعة الكبرى في مصر، تلك الإمارة التي اتسعت أطرافها حتى شملت صعيد مصر الجنوبي من قوص إلى أسوان، مضافاً إليه منطقة مريس من بلاد النوبة الشمالية ووادي العلاّقي بالصحراء الشرقية، وقد أقرّ الفاطميون هذه الإمارة، ومنحوها استقلالاً ذاتياً، كما أنعموا على أميرها أبو المكارم بلقب (كنز الدولة) تقديراً لإخلاصه في خدمة الخلافة، وتوارث أبناؤه هذا اللقب، وكان أبرزهم كنز الدولة محمد، وابن أخيه سعد الدولة شاردكين القواسي، وكنز الدولة محمد (الثاني) الذي حكم حتى وفاته سنة 498

---

(3) المريس: وهي البلاد المجاورة لأسوان، وإليها تنسب الرياح الموسمية، وهي الرياح الجنوبية الباردة التي تهب على مصر في فصل الشتاء. المقريزي، المصدر السالف، ج1 ص198.

(4) البجّة: وهي البلاد الواقعة بين بحر القلزم ونيل مصر. المقريزي، المصدر السالف، ج1 ص197.

(5) وادي العلاّقي: بينه وبين النيل خمس عشرة مرحلة إلى الشرق وأقرب عمارة إليه مدينة أسوان. المقريزي، المصدر السالف، ج1 ص197.

(6) الصحراء الشرقية: وهي صحراء عيذاب، وعيذاب مدينة على ساحل بحر جدّة، وهذه الصحراء مسافتها من قوص إلى عيذاب سبعة عشر يوماً. المقريزي، المصدر السالف، ج1 ص202.

(1) أرض المعدن: معدن الذهب، وهي في حدود البجة، وهي أرض مبسوطة لا جبل فيها. ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي (ت 367 هـ / 977 م)، صورة الأرض، بيروت، 1979م، ص151.

(2) لم تورد المصادر المتوفرة تاريخ وفاته.

هـ/ 1105م، حيث خلفه أخوه فخر العرب هبة الله، وهنا انقطعت أخبار بني الكنز في المصادر المتوفرة ربما لعدم وجود أحداث ترقى لمستوى الخبر حتى سنة 556 هـ / 1161 م، حيث ذكرت الأخبار أن كنز الدولة أبو الطليق يوسف مات فيها، وولي بعده رئاسة قبائله أخوه أبو العز فتّوح. وأبو العز هذا هو آخر أمير من بني الكنز حفظته المصادر المتوفرة، على أن إمارة بني الكنز استمرت قائمة حتى قتل آخر أمرائها في سنة 570 هـ / 1174 م، أيام دولة بني أيوب[3].

تاريخ العلاقات بين الدولتين وطابعها:

تتفق المصادر المتوفرة التي أرّختْ للعلاقات بين الخلافة الفاطمية وإمارة بني ربيعة الناشئة على أن أول اتصال رسمي جرى بين الطرفين كان في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله (386 . 411 هـ / 996. 1021 م)، وكان أول من اتصل من بني ربيعة بالفاطميين هو الأمير أبو المكارم هبة الله بن بشر بن إسحاق، حيث تعاون هذا الأمير مع الخليفة الفاطمي في القبض على الثائر الأندلسي المعروف بأبي ركوة[4].

وهنا لا بد قبل الاستطراد في الحديث عن طبيعة العلاقات بين الدولتين من تقديم تعريف سريع بثورة أبي ركوة، للوقوف على مدى أهمية الدور الذي قام به أبو المكارم أمير بني ربيعة آنذاك تجاه زعيم هذه الثورة، وأثر ذلك في طابع العلاقات مع الفاطميين. فأبو ركوة اسمه الوليد بن هشام، وينتسب إلى بني أمية خلفاء الأندلس، وإنما لقب بأبي

---

[3] ابن حوقل، صورة الأرض، 38 و141. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6 ص250 و433. ابن ميسر، تاج الدين محمد بن علي (ت 677 هـ / 1278 م)، المنتقى من أخبار مصر، انتقاه المقريزي، تحقيق أيمن فؤاد سيد، القاهرة، 1980م. ص43 و75و 68. القلقشندي، أحمد بن عبد الله (ت 821 هـ / 1418 م)، قلائد الجمان في التعريف بقبائل الزمان، القاهرة، 1964م، ص129. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2 ص316 وج3 ص35 و255. المقريزي، الخطط، ج1 ص193 و196 . 198 و381 . 382. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5 ص152 و292. القوصي، تاريخ دولة الكنوز، ص47 . 62.

[4] الأنطاكي، يحيى بن سعيد (458 هـ / 1067 م)، صلة تاريخ أوتيخا، أو تاريخ الأنطاكي، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، طرابلس . جروس برس، 1990م، ص267. القوصي، المرجع السالف، ص55.

ركوة لأنه كان يحمل ركوة ماء لوضوئه على طريقة الصوفية، وكان أبو ركوة قد فرّ من الأندلس إلى شمالي أفريقية، هرباً من ملاحقة المنصور ابن أبي عامر[1] الذي استبد بالسلطة دون الخليفة هشام بن المؤيد[2]، وراح يلاحق زعماء بني أمية وأتباعهم فيتخلص منهم، فنجا أبو ركوة ونزل بادئ الأمر في القيروان حيث اشتغل بتعليم الصبيان، ثم سافر إلى مصر ودرّس بها الحديث، وبعد رحلة شملت الحجاز واليمن والشام، عاد إلى مصر، ثم غادرها إلى برقة في سنة 395 هـ / 1005 م، واستقر به المطاف في قبيلة بني قرة العربية، وهناك أخذ يمارس صنعته في تعليم الصبيان، وكان يتشح بثوب من الورع، ويجتذب إليه الناس بنسكه ووعظه، وحلاوة لسانه، ونبل أخلاقه .

ولقد كان بنو قرة من بين القبائل الساخطة على سياسة الخليفة الحاكم، تلك السياسة التي كانت قائمة على ضرب القبائل ببعضها وإضعافها، فسخطوا عليه وراحوا يتحينون الفرص للخروج والانتقام، فلما دعاهم أبو ركوة، استجابوا له، والتفوا حوله.

ادعى أبو ركوة الخلافة، واتخذ لنفسه لقب الناصر لدين الله، والثائر بأمر الله، والمنتصر من أعداء الله، وأوهم أتباعه أن لديه نبوءة، وأنه هو الذي يمتلك مصر، ويقتل الجبابرة، واتفق معهم على توزيع الغنائم أثلاثاً، مستغلاً بذلك الأوضاع الاقتصادية المتردية التي كانت تمر بها منطقة شمالي أفريقية. وفي سنة 395 هـ /1005 م، هاجم أبو ركوة برقة وطرد نواب الفاطميين، واستولى على المدينة. عندئذٍ بادر الخليفة الحاكم بأمر الله (386 . 411 هـ / 996 . 1020 م) بإرسال جيش كبير، أولى قيادته إلى ينال الطويل التركي، وكلفه باسترداد برقة، غير أن قوات ينال ما لبثت أن تعرضت إلى

[1] محمد بن أبي عامر، من قبيلة معافر اليمنية، حاجب الخليفة الأموي هشام الثاني في قرطبة، استبد بأمره (367 . 392هـ/ 978 . 1002م)، وتلقب بالمنصور لدين الله، وبلغت السلطة في أيامه أوج مجدها في الأندلس. زكار، سهيل، تاريخ العرب والإسلام، دار الفكر، الطبعة الثانية، 1982م، ص481 . 484.

[2] هشام بن المؤيد، عاشر خلفاء بني أمية في قرطبة، ولي في سن العاشرة سنة 366هـ/ 976م، فتولى الحكم عنه الحاجب المنصور بن أبي عامر فحجر عليه، وكان ألعوبة بين أيدي أهل البلاط، عجل بسقوط الخلافة في الأندلس، مات مقتولاً سنة 404هـ / 1013م). زكار، المرجع السالف، 481 . 484.

هزيمة منكرة في المعركة التي نشبت بين الفريقين بالقرب من برقة سنة 395 هـ / 1005 م، فاستحوذ أبو ركوة على غنائم كثيرة، وتقوى بها، وازدادت هيبته، ما شجعه للتطلع نحو مصر للقضاء على الخلافة الفاطمية، فأرسل سراياه إلى صعيد مصر فجاثت خلاله دون أن تصادفها أدنى مقاومة .

شجعت هذه الانتصارات أبا ركوة للزحف بقواته نحو الإسكندرية، حيث اصطدم بالقوات الفاطمية، وألحق بها هزيمة ساحقة، فانتشرت قواته في قرى مصر، وانضم إليه أنصار جدد من أفراد القبائل البدوية كبني سليم وهلال الضاربين بصعيد مصر، ولقد شعر الخليفة الحاكم بخطورة الموقف ولهذا استقدم قواته المرابطة في بلاد الشام، وعين الفضل بن الحسين بن صالح قائداً على جيشه، حيث اشتبك مع الثائرين في معركة جرت قرب الإسكندرية في سنة 396 هـ / 1006 م، انتصر فيها أبو ركوة، وتقدمت قواته نحو الجيزة، حيث دار قتال بين الفريقين قتل فيه نحو ألف من الجانبين.

واستؤنف القتال بين الفريقين، وجرت المعركة الفاصلة في مكان يعرف برأس البركة من أرض الفيوم في سنة 396 هـ / 1006 م، دارت فيها الدائرة على قوات أبي ركوة، وقُتِلَ عددٌ كبير منهم، وانهزم أبو ركوة وتفرقت عنه القبائل، وتخلّتْ عن مواصلة القتال، وطلبت منه أن ينجو بنفسه، ويهرب إلى بلاد النوبة، حيث شرعت القوات الفاطمية بمطاردته هناك[1].

[1] تحوي كتب التاريخ العامة والتراجم مادة جيدة عن ثورة أبي ركوة. انظر الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي، ص259 . 268. ابن حماد، أبو عبيد الله محمد بن علي الصنهاجي (628 هـ / 1230 م)، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق التهامي نقرة، وعبد الحليم عويس، القاهرة . دار الصحوة، 1401 هـ، ج1 ص103. ابن عذاري، محمد بن أحمد (توفي أواخر القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي)، البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تحقيق كولان وليفي بروفنسال، بيروت . دار الثقافة، 1998م، ج1 ص257 . 258. ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت 808 هـ / 1405 م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر، بيروت . دار القلم الطبعة الخامسة، 1984م. ج4 ص73 . 74. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2 ص60 . 66. المقري، أحمد بن محمد التلمساني (ت 1041 هـ / 1631 م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، بيروت . دار صادر، 1288 هـ، ج2 ص658 . 659.

وفي هذه الآونة، برز دور أمير بني ربيعة أبو المكارم هبة الله، في إحراز النصر الحاسم، والقضاء نهائياً على رأس الثورة، وقد وضع بذلك الأسس الثابتة التي قامت عليها العلاقات الجديدة مع الخلافة الفاطمية، فأخلص في نصرة الخليفة الفاطمي، وبذل أقصى جهده للقبض على الثائر أبي ركوة الذي لاذ بالفرار إلى جنوبي مصر على حدود النوبة، وقد نجح أبو المكارم في القبض عليه وتسليمه للفاطميين، وقد كافأه الخليفة الحاكم على ذلك بمنحه لقب (كنز الدولة) وتوارث أبناؤه هذا اللقب وعُرِفَ بنو ربيعة ببني الكنز، وأصبح لإمارتهم، منذ ذلك الوقت، وضع خاص في جنوبي مصر حتى نهاية الخلافة الفاطمية[2].

وهكذا توطدت علاقات حسنة بين بني ربيعة والخلافة الفاطمية منذ أيام الخليفة الحاكم بأمر الله، وقد دانت دولة بني الكنز الناشئة بوجودها للخليفة الحاكم، واعتمدت على ولائها للخلافة الفاطمية في تثبيت أقدامها وفرض نفوذها على المناطق الواقعة جنوبي مصر وشمالي بلاد النوبة، وقد قدّر الخلفاء الفاطميون بعد الحاكم: الظاهر والمستنصر، مكانة دولة بني الكنز وقدروا قوتها في هذه المنطقة الحيوية المهمة بين مصر وبلاد النوبة، ولهذا عملوا على تشجيعها على ترسيخ نفوذها في هذه المناطق.

ولكن إعلان أمراء بني الكنز استقلالهم، أثبت أن ولاءهم للخلافة الفاطمية لم يكن إلا مرحلياً، فقد انتهز الأمير كنز الدولة محمد حالة الضعف والأزمة الاقتصادية والسياسية التي كانت تعصف بالخلافة الفاطمية في أثناء الشدّة المستنصرية وأعلن استقلاله التام في سنة 466 هـ / 1073م، وبسبب ذلك تدهورت العلاقات بين الطرفين حيناً من الزمن دام قرابة الثلاث سنوات، حيث برز بدر الجمالي على المسرح السياسي، وتمكن بعد جهد

[2] الأنطاكي، المصدر السالف، ص46. القوصي، تاريخ دولة الكنوز، ص55.

من اجتياز الأخطار التي أحدقت بالخلافة من كل جانب، وعني بأمر الولايات التي كان لأصحابها ميل نحو الاستقلال، فهاجمها وأخضعها لسلطانه[1].

ففي سنة 469 هـ / 1076 م، سار الوزير بدر الجمالي على رأس قواته إلى صعيد مصر، حيث تمكن من القضاء على ثورات بدو جهينة والثعالبة والجعافرة، ثم زحف جنوباً نحو أسوان لمحاربة بني الكنز بزعامة كنز الدولة محمد، فوقعت معركة بين الفريقين قرب بلدة اسمها إسنا[2] هُزِمَ على أثرها كنز الدولة، والتجأ إلى أسوان. وبعد هذا الانتصار تابع الوزير الفاطمي زحفه إلى أسوان وجدّ في مطاردة فلول كنز الدولة، حتى وصل إلى منطقة الشلال، جنوبي أسوان، فاشتبك الجيشان في معركة أخرى انتهت بهزيمة ساحقة لجيش كنز الدولة، ونتيجة لذلك فرّ كنز الدولة محمد ملتجئاً إلى مملكة المقرة، وذلك بعدما فَقَدَ عدداً كبيراً من رجاله، وبعد مدّة طويلة من الملاحقة لجأ إلى الملك سلمون في دنقلة، وهو يعلل النفس أنْ يلقى منه المساعدة، ولكن أمله خاب لأن هذا الملك لم يرد فتح ثغرة في علاقاته مع الفاطميين فسلّمه إليهم[3].

ولقد حدث ذلك في سنة 474 هـ / 1082 م، وبعد أن بادر الوزير بدر الجمالي بإرسال وفدٍ رفيع المستوى كان أحد أعضائه أسقف من الكنيسة القبطية في مصر، إلى الملك سلمون، يطلب منه باسم الخليفة تسليم كنز الدولة محمد إليهما، ولهذه الاعتبارات السياسية والدينية التي كانت تربط الملك المقري بالقاهرة والكنيسة القبطية، استجاب الملك

---

[1] ابن ميسر، أخبار مصر، ص43. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2 ص316. المقريزي، الخطط ج1 ص381 . 382. ساويرس، سير الآباء البطاركة (سلسلة تاريخ أقباط مصر). ص1. القوصي، تاريخ دولة الكنوز، ص60. المناوي، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، ص236.

[2] إسنا: مدينة بأقصى الصعيد، وهي على شاطئ النيل من الجانب الغربي. الحموي، معجم البلدان، ج1 ص189.

[3] ابن ميسر، المصدر السالف، ص43. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2 ص316. المقريزي، الخطط، ج1 ص382. ساويرس، المصدر السالف، ص1. القوصي، المرجع السالف، ص60.

سلمون لطلبه وبادر بتسليم كنز الدولة للفاطميين، ولما وصل كنز الدولة إلى القاهرة في السنة التالية قتله الوزير بدر الجمالي ثم صلب جثته على أحد أبواب القاهرة[4].

وبعد مقتل كنز الدولة محمد في سنة 475 هـ / 1083 م، عين الوزير بدر الجمالي ابن أخ كنز الدولة والياً على أسوان، وكان هذا الوالي الكنزي الجديد هو سعد الدولة شاردكين القواسي، ولقد نجح سعد الدولة خلال السنوات الطويلة التي قضاها في الحكم، في توطيد علاقاته مع الخلافة الفاطمية، فازدادت مكانته رسوخاً في مركز الخلافة، سواء خلال السنوات الباقية من حكم الخليفة المستنصر أو خلال عهد ابنه المستعلي بالله من بعده، بدليل أن سعد الدولة لبّى دعوة الوزير الأفضل بن بدر الجمالي، الذي خلف أباه في الوزارة، للخروج لقتال الصليبيين، حيث قاد حملة كبيرة وسار على رأسها نحوَ عسقلان واصطدم مع القوات الصليبية في معركة عنيفة أسفرت عن هزيمة قواته ومقتله في سنة 495 هـ / 1101م[1].

وبعد استشهاد سعد الدولة صمتت المصادر المتوفرة عن ذكر أيّ علاقات بين خلفاء سعد الدولة: كنز الدولة محمد (الثاني)، وأخوه فخر العرب هبة الله، ثم كنز الدولة أبو الطليق يوسف، ومن بعده أخوه أبو العز فتّوح، وبقيتْ حال المصادر هكذا حتى سقطت الخلافة الفاطمية.

---

[4] ابن ميسر، المصدر السالف، ص43. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2 ص316. المقريزي، الخطط، ج1 ص381. ساويرس، المصدر السالف، ص1. القوصي، المصدر السالف، ص60.

[1] تشارتز، فولتشر أوف (540 هـ / 1127 م)، تاريخ الحملة إلى القدس، ترجمة وتحقيق سهيل زكار (الموسوعة الشامية) ج6، دمشق، 1995م، ص405. الصوري، وليم (ت 581 هـ / 1185 م)، تاريخ الحروب الصليبية، تحقيق سهيل زكار (الموسوعة الشامية) ج7 و ج44، دمشق، 1995 / 2003م، ج44 ص679 . 682. ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، نشر سهيل زكار بعضاً من مواده فيما يتعلق بأخبار الحروب الصليبية في (الموسوعة الشامية) ج11، دمشق، 1995م، ج11 ص10. ابن الأثير، الكامل، ج6 ص433. سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، نشر سهيل زكار بعضاً من مواده فيما يتعلق بأخبار الحروب الصليبية في (الموسوعة الشامية) ج15، دمشق، 1995م ج15 ص281. ابن ميسر، أخبار مصر، ص68. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج3 ص26 و32. 2003م، ج42 ص268. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5 ص152. القوصي، تاريخ دولة الكنوز، ص61.

الخاتمة:

على صعيد العلاقة مع مملكة المقرّة النصرانية في بلاد النوبة. فقد كان الطابع الودي هو المسيطر على العلاقات بين الخلافة الفاطمية ومملكة المقرة النوبية، ثم انقلب إلى سيء في الحقبة الأخيرة من تاريخ الفاطميين. ذلك أن اتفاق العهد أو البقط المبرم بين الفاطميين وملوك المقرة النوبيين تحكمت فيه الأحوال الداخلية في كل من الدولتين قوة وضعفاً، فقد كان ملوك المقرة يقومون بتقصي الأخبار عن حالة مصر باستمرار، فإذا وجدوا الظروف في صالحهم نقضوا العهد وامتنعوا عن دفع البقط، وقاموا بمهاجمة بلاد الصعيد منتهزين فرصة ضعف الخلافة واضطراب الأمور في مصر، فالبقط فضلاً عن أنه عبء ثقيل عليهم فإنه كان يحرمهم من أفضل عناصرهم العاملة في الجيش والأرض، والتي كانت تذهب للخدمة في بلاط الخليفة أو الوالي في مصر. وكان توقُّف ملوك المقرة عن دفع البقط يستدعي قيام سلطات القاهرة، إذا سمحت ظروفها، بإرسال تجريدة عسكرية لإرغامهم على دفعها مثلما فعل الوزير الأفضل كما سلف.

أما على صعيد العلاقة مع دولة بني الكنز الإسلامية جنوب مصر. فقد كانت علاقة بني الكنز بالخلافة الفاطمية حسنة بشكل عام، واستمر أمراء بني الكنز بالاعتراف بالسيادة الفاطمية، على الرغم من نزوع بعضهم إلى الاستقلال.

ذلك أنه منذ أيام الخليفة الحاكم بأمر الله (386 . 411 هـ / 996 . 1020 م)، توطدت علاقات حسنة بين الخلافة الفاطمية وأمراء بني ربيعة، وقد دانت هذه الدولة بوجودها لهذا الخليفة الذي منح أمراءها لقب كنز الدولة تقديراً لجهودهم في نصرة الخلافة ضد الثائر أبي ركوة. ومنذ ذلك الوقت أخذت الخلافة تعتمد على ولاء بني الكنز في تثبيت أقدامها وفرض نفوذها على المناطق الواقعة جنوبي مصر وشمالي بلاد النوبة، وقد قدّر خلفاء الحاكم مكانة دولة بني الكنز وقدّروا قوتها في هذه المناطق، ولكن إعلان الأمير كنز الدولة محمد الاستقلال في سنة 466 هـ / 1073 م، مستغلاً ضعف الخلافة الفاطمية في أثناء الشدة المستنصرية، سبب تدهور العلاقات قرابة ثلاث سنوات، ولكنها ما لبثت أن توطدت من جديد بين الطرفين وازدادت رسوخاً بانضمام الأمير سعد الدولة القواسي بعد القضاء على تمرد كنز الدولة محمد سنة 469هـ/ 1073م، إلى صفوف الجيش الفاطمي في حروبه ضد الصليبيين ومن ثم استشهاده في عسقلان في سنة 495 هـ / 1101 م.

المصادر والمراجع:

. ابن الأثير، أبو الحسن عز الدين علي (ت 630 هـ / 1232 م).

1. الكامل في التاريخ، تحقيق مكتب التراث، بيروت . دار إحياء التراث العربي، الطبعة الرابعة، 1994م.

. الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت 560 هـ / 1165 م).

2. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، بيروت . عالم الكتب، 1989م.

. أندراوس، عزت

3. سلسلة تاريخ أقباط مصر، إنترنت، 2004م.

. الأنطاكي، يحيى بن سعيد (458 هـ / 1067 م).

4. صلة تاريخ أوتيخا، أو تاريخ الأنطاكي، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، طرابلس . جروس برس، 1990م.

. بتشر، ا.ل

5. تاريخ الأمة القبطية وكنيستها (ترجمة عربية)، دون مكان، 1900م.

. البلاذري، أحمد بن يحيى (279 هـ / 892 م).

6. **فتوح البلدان**، تحقيق رضوان محمد رضوان، بيروت . دار الكتب العلمية، 1403 هـ.

. تشارتز، فولتشر أوف (540 هـ / 1127 م).

7. تاريخ الحملة إلى القدس، ترجمة وتحقيق سهيل زكار (الموسوعة الشامية) ج6، دمشق، 1995م.

. ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف (874 هـ / 1469 م).

8. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة . وزارة الثقافة، دون تاريخ.

. ابن حماد، أبو عبيد الله محمد بن علي الصنهاجي (628 هـ / 1230 م).

9. أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق التهامي نقرة، وعبد الحليم عويس، القاهرة . دار الصحوة، 1401هـ.

. ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي (ت 367 هـ / 977 م).

10. صورة الأرض، بيروت، 1979م.

. خسرو، ناصر (481 هـ / 1088 م).

11. **سفرنامة**، تحقيق يحيى الخشاب، بيروت . دار الكتاب الجديد، الطبعة الثالثة، 1983م.

. ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت 808 هـ / 1405 م).

12. العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر، بيروت . دار القلم الطبعة الخامسة، 1984م.

زكار، سهيل.

13. تاريخ العرب والإسلام، دار الفكر، الطبعة الثانية، 1982م.

. صليبا، بندلي.

14. دراسات في اللغة والتاريخ الاقتصادي والاجتماعي عند العرب، بيروت . دار الطليعة، 1977م.

. الصوري، وليم (ت 581 هـ / 1185 م).

15. تاريخ الحروب الصليبية، تحقيق سهيل زكار (الموسوعة الشامية) ج7 و **ج44**، دمشق، 1995 / 2003م.

. الطبري، محمد بن جرير (ت 310 هـ / 922 م).

16. تاريخ الرسل والملوك، أو تاريخ الطبري، بيروت . مؤسسة الأعلمي، الطبعة الرابعة، 1983م.

. ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن (ت 257 هـ / 871 م).

17. فتوح مصر وأخبارها، تحقيق محمد الحجيري، بيروت . دار الفكر، 1996م.

28 . ابن عذاري، محمد بن أحمد (توفي أواخر القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي).

18. البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تحقيق كولان وليفي **بروفنسال**، بيروت . دار الثقافة، 1998م.

. ابن القلانسي، أبو يعلى حمزة بن أسد (ت 555 هـ / 1160 م).

19. ذيل تاريخ دمشق، نشر سهيل زكار بعضاً من مواده فيما يتعلق بأخبار الحروب **الصليبية** في (الموسوعة الشامية) ج11، دمشق، 1995م.

34 . القلقشندي، أحمد بن عبد الله (ت 821 هـ / 1418 م).

20. قلائد الجمان في التعريف بقبائل الزمان، القاهرة، 1964م.

. القوصي، عطية.

21. تاريخ دولة الكنوز الإسلامية ، مصر . دار المعارف، 1976م .

. كاشف، سيدة إسماعيل

22. مصر في عصر الإخشيديين، القاهرة، 1950م.

. المقري، أحمد بن محمد التلمساني (ت 1041 هـ / 1631 م).

23. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، بيروت . دار صادر، 1288هـ.

. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت 845 هـ / 1442 م).

24. اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، الطبعة الثانية، 1996م.

25. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، أو الخطط، تحقيق خليل المنصور، بيروت . دار الكتب العلمية، 1998م.

. ابن المقفع، ساويرس

26. سير الآباء البطاركة، نشر عزت أندراوس (سلسلة تاريخ أقباط مصر) انترنت، 2004م.

. المناوي، محمد.

27. الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، القاهرة . دار المعارف: 1970م .

. ابن ميسر، تاج الدين محمد بن علي (ت 677 هـ / 1278 م).

28. المنتقى من أخبار مصر، انتقاه المقريزي، تحقيق أيمن فؤاد سيد، القاهرة، 1980م.

. ياقوت الحموي، شهاب الدين ابن عبد الله (ت 626 هـ / 1228 م).

29. معجم البلدان، بيروت . دار صادر، الطبعة الأولى، 1977م.